الضَّاد : اللسان الثُّلاثي الأبعاد : الزَّماني ـ المكاني ـ العمق الدِّلالي

د. سليمان حسن زيدان

مقدمة

اللغة العربية لسان قوم شُرِّفوا بها فشرفوا ، وعُزُّوا بها فأبوا الاحتفاظ بذلك ، والدليل على ذلك أنَّهم لم يراعوا له صونًا ، ولم يحسنوا بها نطقًا ، ولا لها انتصارًا وفهمًا : تقدمهم ويؤخرونها ، تُقْبِل عليهم ويهجرونها ويهجونها ، وتفتح لهم أبواب معاجمها ويفضلون أخريات عليها ، ومع هذا تظل في صدارة المشهد الكوني الإنساني بما اتسمت به من أبعاد ثلاثة : (البعد الرأسي (الزمانية) ـ البعد الأفقي (المكانية) . البعد القيمي (العمق الدلالي). فمن نسبتها إلى العرب اكتسبت اللغة العربية اسمها ، ومن ثمَّ امتدادها الزمني . ومن جهود علمائها ، ومن تشريف القرآن الكريم لها ـ إذ أنزله الله تعالى بها ـ اكتست شكلها ، وفصاحتها ، فبيانها ، ومن ثم هيبتها التي ضمنت لها اتساعًا وامتدادًا أفقيًّا ؛ فضمن لها سعة مكانية كونيَّة ، فحازت علو شأنها . وكان لزامًا أن يواكب هذين البعدين بعد ثالث يجعلها عند حسن ظن المتكلمين بها ، والمتعلمين لها ، والمتحاكمين إلى نَصِّها ، إذا ما احتاجوا في أي حين ، وفي أي مقام لتوظيفها. وإنَّنا لنشهد كم نحن أحوج لها ، وكم هي أحوج لقيمتها في هذا العصر ، وهذا العالم المتطور المتغير .

وتبقى العربية كغيرها من اللغات الدوَّارة في فلك التجاذبات ؛ فتخضع لمنطق الصراعات التي تنشأ بفعل حرص الناطقين بها ـ سواء أكانت اللغة العربية أم اللغة الإنجليزية...إلخ ـ على تبوء صدارة الاستعمال والتداول ، ولتؤمن لذاتها الحضور ، وتتجنب الغياب ، فَيَجِدُّ ثلةٌ من القائمين عليها في السعي لإثبات وجودها حيث المقدمة ، والنأي بها عن المؤخرة . ومن هنا يجتهد المختصون والمخلصون لنسبها وقدرها في ضمان وجودها على سلم القيم النفعية للبشرية ، بدءًا بقومها وصولا إلى الكونية ، مرورًا بالخصوصية الجمالية والبيانية ، وهو ما يحتِّم النظر إليها وفيها من أبعاد عدة تكفل الحيلولة دون ترك فراغات قد يصيب ضرُّها مجال الرؤية أو التكوين الصوتي والمعنوي والوظيفي ، وقد يتجاوزه إلى المدِّ التطوري التناغمي مع الراهن لاستيعاب معطيات العصور كلِّها بما يُستَجد فيها ، لذا لا يجب فصلها عن محيطها العالمي الذي يتأثر بالمتغيرات كلِّها فيؤثر . سلبًا وإيجابًا في مكونات الصلات كلِّها : الاسمية ، والعالمية ، والوظيفية ، والهيكلية ، والمنهجية ، والوصفية ، والتداولية ، وهذه كلُّها مسلمات لا يحق لنا تجاهل تأثيرها في لغتنا ، بل يجب أن تكون مصدرًا نستلهم منه الإجابة الكافية عن سؤالنا لذاتنا : أين العربية من كلِّ هذا ؟ و ليس من أحد منَّا ولا من سوانا بمستطيع أن ينكر على لغتنا العربية استحقاقها الوسم بلغة الضاد لبروز الخصوصية والخاصية في يُسرِ نطق هذا الحرف المكون الأساس لكثير من المفردات في المعجم العربي منها على سبيل المثال : الأرض . العرض . الضَّبط . الضرورة . الضباب . الضياع . الضلال وهو حرف يتميز بتوحده في المخرج ، وهو ما منح العربية حقَّ التفرد بالنعت (لغة الضاد) بالرغم من أنَّها الوحيدة التي فيها حرف الظاء المشالة لا الضاد ؛ إذ يوجد ـ هذا الأخير ـ كما ذكر الإمام ابن الجزري في كتابه (التمهيد)، وكما ذكر مكيِّ بن أبي طالب القيسي في كتابه (الرعاية) ، والخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه (العين).

وأنَّى للمعرفة بالشيء أن تتحقق إلا بالإلمام به من جوانبه كافة ، وأنَّى للإلمام بالشيء أن يكون تامًّا مُجزيًّا إلا بالوقوف على أبعاده مجتمعة لا الاكتفاء ببعده الأول (الظاهر المقابل) الذي يلتقط من زاوية واحدة ؛ فكيف ـ وفقًا لهذه الرؤية الفكرية ـ أن نعلم ما في لغتنا العربية من قوة وقدرة وسعة إلا بتجاوز ظاهرها إلى باطنها وكافة جوانبها لنعلم

ـ أولاً ـ السِّرَّ الكامن فيها ، ذاك الذي ـ لاريب في علم الله به ـ جعل الله يخصُّها دون غيرها من الألسن بحمل أعظم كتاب عرفه الإنس والجن (القرآن الكريم). وإنَّنا سندرك الحقيقة الدامغة كاملة عن علم يقيني إذا ما اعملنا الفكر بوعي في استنباط معالم اللُّغة العربية ؛ فنظرنا إليها نظر الفاحص الماحص ، والمتأمل الواثق في أنَّ للمَعْنِي (اللغة العربية) أبعادًا ثلاثة لزامًا أن تنال حظَّها من الإضاءة المباشرة لإبرازها في دراسة واحدة لا دراسات وأبحاث شتَّى تتناول جزئيات منها دون أن تفصِّل القول فيها ؛ وهو ما جعلنا نتعاطى مع هذه المشكلة على أنَّها الموضوع الرئيس ، والسبيل القويم لإثبات القول بالأسانيد ، والرؤية بالبراهين انطلاقًا من بُعدها الأول . وكم من الخطوات والصفحات التي لا حصر لها سنحتاج إذا ما فكرنا في سرد سيرة اللغة العربية منذ تخلقها الأول في رحم الدنيا ، ونشأتها الأولى في سيرورة الكون ؛ إذ سنعوِّل على السعي الحثيث لمقارنات ومقاربات تثبت هذا وتنفي ذاك ، تجادل في قول وتدافع عن رؤية ، تميل إلى حكم وتستهجن آخر ، إلى أن يصل الآمر إلى عقد العزم على التتبع والاستقراء الذي لن يكون وافيًا تامًّا لضيق المساحة البحثية ، حيث إن ذلك يحتاج وقتًا وقدرًا لم تفه القليل من الصفحات بغيته ، الأمر الذي يلزمنا بالاكتفاء ببعض الشواهد المبرزة لتأكيد سلطانها الروحي والعقلي الذي يفرض على الكلِّ الإقرار بسيادتها التي سيتولى البحث تتويجها بدءًا من البعد الزمني الذي سنعنى فيه بمحاولة تحديد مسقط رأس اللغة العربية ، ومن ثمَّ انتشارها وتطورها وتأثرها بالمحيط المتغير أبدا.

مدخل

وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّـا
دَ وَعَوْذُ الجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ
(المتنبي)

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِيْنَ الضَّادَ قَاطِبَةً
حَدِيْثُكَ الشَهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الفَهِمِ
(أحمد شوقي)

لن تنفكَّ اللُّغة العربيَّة عن مواكبة الدورة الزمنية للكون بمركباتها كلِّها ، تتكيَّف مع المتغيرات التي هي سمة أساسية للسيرورة التفاعلية بين عوالمه ومعالمه ـ والغربيَّة إحداها ـ فعلى مرِّ السنين ومذ عُرفت باسمها وهي حاضرة على الألسنة ، حاضنة لكلِّ قائم ، أو طارئ في اللفظ أو المعنى ، مؤدية لوظيفتها في صنوف مكونات الحياة كلِّها من علوم وآداب وتصوير وتعبير وتأثير ، وفي مقدمة هذا كلِّه : ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه الذي اختار له الله اللغة العربية لتكون وعاءه الذي ينهل منه العالمون القول المبين ، ومن بعده الحديث الشريف. وإن القرآن الكريم منفردًا كان سيكفيها علوًا وسموًا وحضورًا وحفظًا ، حيث إنَّه دال صريح على قيمتها الآنية (وقت بدء الخلق) ، وقدرتها الآنية (وقت الوحي بالذكر الحكيم) ، والمستقبلية (ديمومة الأثر والتأثير). ولقد أسهم في كشف هذا كونها ذات أبعاد ثلاثة ، وقد استطردت في إسهامها فجعلتها في اشتراك مع محيطها ، تشارك في وضع حجر أساس لكلِّ تقدم علمي بالرغم من ركون قومها لإغراءات الآخرين من المناوئين لها .

لقد قيل في شأن اللُّغة العربية الكثير بدءًا من الربط بينها وبين خالق الكون بما فيه ، إلى التغزل الصريح بمحاسنها ، وذكر من يقومون على صونها ودفعها بعميم الثناء ، وهو ما قَدَّم به أبو منصور الثعالبي كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) ، وهو ما أردت تضمينه في بحثي إقرارًا ببلاغة القول ، وقيمة المقول. قال الثعالبي» من أحبَّ الله تعالى أحب

المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب ، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحبَّ العربية عُني بها وثابر عليها ، وصرف همَّتَه إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربيَّة خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهُّمها من الديانة ؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح الفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاذ ، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء ، والزند للنار. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصرفها والتبحُّر في جلائلها ودقائقها ، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان ، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله عز وجل من ضروب المادح ما يكلُّ أقلام الكتبة ، ويتعب أنامل الحسبة ، ولما شرَّفها الله عزَّ اسمه وعظمها ، ورفع خطرها وكرمها وأوحى بها إلى خير خلقه ، وجعلها لسان أمينه على وحيه ، وأسلوب خلفائه في أرضه ، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده ، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه ، قيَّض لها حفظة وخزنة من خواص الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، فنسوا في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر، وكدُّوا في حصر لغاتها طباعهم ، وأسهروا في تقيي شواردها أجفانهم ، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم ، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم فعظمت الفائدة ، وعمَّت المصلحة ، وتوفَّرت العائدة ، وكلما بدأت معارفها تتنكر ، أو كادت معالمها تتستر ، أو عرض لها ما يشبه الفَتَرة ـ ردَّ الله تعالى لها الكرَّة ، فأهبَّ ريحها ، ونفق سوقها بفرد من أفراد الدهر أريب ذي صدر رحيب وقريحة ثاقبة وعزيمة راتبة ودراية صائبة ، ونفس سامية ، وهمة عالية ، يحبُّ الأدب ، ويتعصب للعربية ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها ، ويحرك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها ، ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحلِّين به ، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائقها ولطائفها...» وهذا ما هو كائن اليوم ـ مؤتمر اللغة العربية ـ وهو الذي كان حافز إعداد هذا البحث ، والذي نرجو من الله بدعائنا له ، وتوكلنا عليه ، أن نُوفَّق فيه.

كان للغة العربية هذا الحضور كونها ترتِّب مكونها الجمعي ، ومن ثمَّ تفرِّعه إلى مكونات أخرى : لسان اجتماعي ـ لساني أدبي ـ لسان تاريخي ـ لسان ثقافي ... إلخ. يحدث هذا منها مع أنها كانت سابقة لقواعدها. لقد كان هذا شأن اللغة العربية ، ولهذا دلالات تكشفها الأبعاد الثلاثة المتآلفة لرصد ما فيها من ذخر ، ونسج إطار قيمي وجمالي يستوعب قدرها المتين : البعد الزماني ـ البعد المكاني ـ البعد الدلالي. لذا قدمنا غلى وصف اللسان العربي بالثلاثي الأبعاد . والثلاثي الأبعاد مصطلح ديناميكي تقني في أساسه . شاع ذكره مع تطور الحياة ، وتوالي دفقات التقدم فيها الذي أفضى لاختراعات وابتكارات علمية جديدة حرس الإنسان على تطويعها وتطويرها كلما سحبت العصور إلى الأمام ، بغية توفير أكثر الإمكانات دقة لتصلح لكلِّ استعمال بالصورة المرضية عنه . ومن عينة ذلك التوثيق التقني (الفنِّي) بوسائطه المتعددة المتنوعة التي تكون الصورة نقطة الارتكاز فيها ؛ إذ إنها هي التي تدور الغاية حولها ، لذا كان من المنطقي أن يلازمها المسمَّى (الثلاثي الأبعاد) الذي اقتبسناه مشكلة لبحثنا لننطلق منها لطرح فكرتنا وإثبات فرضيات نقدمها.

وليس الثلاثي الأبعاد إلا معيارًا فنيًّا يتسم بالدقة العالية والوحدة الجمعية العضوية لأركان متجاورة لتدعم وجود كيان واحد مشترك الخصائص ، هذه الأركان هي : الطول والعرض والعمق. وبما أنَّ اللغة العربيَّة ذات سمات دقيقة تميزها عن سواها ؛ فإنها نالت الحظوة والتشريف من الله الذي يعلم سرَّ الكون كلِّه، فادَّخرها إلى وقت النزول بآخر رسالاته التي أنزلها على خاتم رسله : النبي العربي محمد بن عبد الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم . ونحن إجلالا للغة العربيَّة ، وتبيانًا لها نسلِّط عليها تقنية الأبعاد الثلاثة المقتبسة من حقل التقنية المتعرف عليها بـ 3D»:اختصار لكلمة(3dimensional(معناها باللغة العربية (ثلاثي الأبعاد). وقبل ظهور هذه التقنية كنا نستطيع أن نشاهد

البعدين X و Y أما باستعمال هذه التقنية نستطيع مشاهدة البعد الثالث ألا و هو Z.

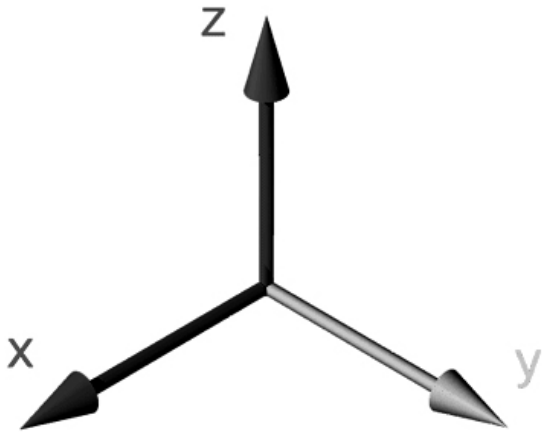

(٣)

وهو ما نحاول تحقيقه برصد كلِّ جماليات اللغة العربية وصفاتها وسماتها وانتماءاتها واستخدامها وتجميعها

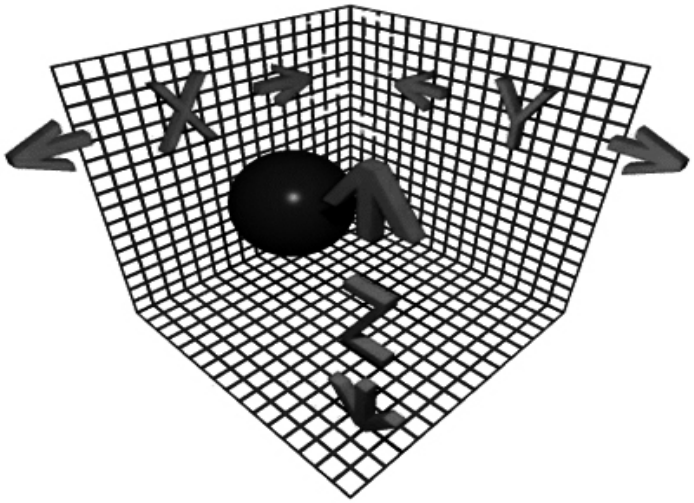

في إطار واحد يسهل معرفته والتحقق منه في آن واحد. نسعى لهذا بإسقاط هذا المفهوم التقني لتصوير اللغة العربية بالآلية التي تمكننا من إظهار مكانتها وقدراتها التي لا تنضب ، بشكل أكثر دقة ووضوحًا ، وأثبت في الحجة في التناول لإثبات الأصل مع مدى تعاطيه مع التَّطور في عالم متغير دفعة واحدة تمكن البصيرة قبل البصر من استيعابها والإقرار النفسي والتطبيقي بمحاسنها وإمكاناتها المخزونة في بواطن أثرها وتأثيرها . مدعَّمين في هذا بما سنقف عليه في عملنا العلمي هذا. وبما نعلمه عمَّا تتمتع به اللغات من إصرار على الرقي بالحياة ، والتعايش مع مستجداتها « فاللغة ـ أية لغة

ـ تعبير صادق عن الحياة والحضارة ، ومعتقدات الناس وأفكارهم . ولما كان التطور سمة أساسية من سمات الحياة ، وجب أن تتطور اللغة بصورة متواكبة مع ما يطرأ ويستجد في حياة البشر» ٤. وهذا من سمات اللُّغة العربيَّة التي تطور معجمها في الوقت الذي تحفظ فيه لبناتها ، فلا تندثر مفرداتها ومعانيها بالتقادم كما هو الشأن مع اللغة الإنجليزية التي تتآكل بفعل الزمن بحيث إنَّ النَّص المكتوب قبل ٣٠٠ عام ـ تقريبًا ـ يصعب قراءته في الوقت الراهن بلغة اليوم.

ولعلَّ من أهم مميزات اللغة العربية خاصية الاشتقاق التي تجعل الجذر مرجعية يعاد إليها كلما دعت الحاجة ، ومن هذا الجذر يمكن خلق مفردات عدة « تحمل طابع نسبها في الحروف الثلاثة التي تدور معها أنى دارت وهذه مزية في اللغة العربية ليست لغيرها من اللغات ذلك أن الألفاظ في اللُّغات الأخرى يعتريها من التبدل ما يمحو أصلها ويخفي معالمه...إن الألفاظ العربية تكثر ويتوالد بعضها من بعض باستمرار وتؤدي بهذه الطريقة الحية وظيفتها في الحياة إذ تقابل كل مولود جديد حسيا كان أم معنويا بمولود جديد مثله من اللفظ من الأصول الموجودة والأرومات القائمة.»٥ ، وسيكون من غير المُنصف برًا بها أن نحكم لها بغير القدرة على التطور والنمو والمواكبة ؛ فبما « أنَّ الاشتقاق في اللغة العربية مظهرًا من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد فإنه كذلك مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في إرجاع الجزئيات إلى الكليات وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع»٦. لذا فإنَّ الكلمة في اللُّغة العربية ذات دلالات متعددة يتدخل السياق لتحديدها ، وهو ما يعني أنَّ السياق يحدِّد المعنى في اللفظ المشترك ؛ فمفردة (عين) مثلا ، لا يمكن للسامع أن يعلم دلالتها ما لم يبادر المُخاطِب بوصعها في سياق (جملة أو تركيب) كونها تعني : العين = البصر ، وعين الماء ، وعين الجيش (الاستطلاع) ، والجاسوس ، وعين العقل = الصواب ، وبنات (جمع بنت) التي هي: بنات = صغيرات النساء ـ بنات مخاض ولبون = صغيرات الإبل ـ بنات نعش= (كوكبة الدب الأكبر والأصغر) ، وبنات أفكاري. ويلزم في هذه الحالة التعاطي مع الدلالة من منظر السياق الذي يحدِّد معناها ؛ كون «السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها ، والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تَدَعُها الذاكرة تتراكم عليه.»٧ وبهذا يثبت أنَّ للغة العربية سعة في اللفظ، ومتسع في المعنى.

وجديرٌ بقدرها أن نقول: إنَّ اللُّغة العربية يمكن النظر إليها من أيِّ زاوية نريد ؛ إذ يمكننا رؤيتها وتحديد ماهيتها لكن حبذا لو نظرنا إليها من الزوايا الثلاث لتعطينا صورة واحدة شاملة ، لها من الدقة والوضوح ما يسدد فهمنا لها على أنَّها استحقت أن تُمجَّد بما أكرمت به ممن خلق الكون ، وجعل ما فيه آيات بينات ـ وبلاغة القرآن منها ـ على قدرته ووجوده ؛ فقال تبارك وتعالى شأنه وعزَّ اسمه بلسان عربي مبين ﴿وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَاخْتلَافُ أَلْسنَتكُمْ وَ إِنَّ في ذَلكَ لَآيَات لِّلْعَالمينَ ﴾٨ . لقد ربط الله الخالق بين خلق السموات والأرض وتعدد الألسنة فجعل تعددية التخاطب ، ومن ثم الشكل تابعًا لاحقًا من بداية الخلق.

اللغة المنطوقة خاصية جمعية اجتماعية ؛ فهي أداة حياة الإنسان باختلاف الزمان والمكان ، هذا الاختلاف الذي له – بالضرورة – تأثير فيها ، على أساس أنَّها « هي مرآة الإنسان بل هي الإنسان نفسه ، والإنسان سلوكًا وفكرًا ومادة وعقلاً كائن معقد من أي جهة نظرت فيه و إليه وجدت جديدا يستحق النظر والتأمل . وكذلك لغته فهو صانعها وهي صانعته»٩ لذلك كان التنوع سمة كونية تشترك مجموعة من العناصر في تشكيل ماهيتها ، وضبط إيقاع هذا التنوع بحيث يكون انعكاسًا عن التفاعلات البشرية ، ليس انعكاسًا عليها في أصل بنيته ؛ « فاختلاف البيئات ﴿حتى المحلية في القطر الواحد﴾ وما يجري فيها من اختلاف الأجناس وما تتعارف عليه من نظم سياسية واجتماعية وثقافية وحضارية وتربوية .. إلخ . هذا الاختلاف لابد أن ينعكس على طرائق التفكير وأساليب التعامل في الحياة ، أو قل مع اللغة والإنسان»١٠.

وليس بخاف على أحد أنَّ العينين هما الوسيلة الأولى في التحقق من الأشياء وإرسالها إلى مركز الحكم (الدماغ)

الذي يعيد الأمر سريعًا إلى المصدر الأول (النَّاقل). وتؤدى العينان وظيفة الرؤية من زاويتين بفعل المسافة الفاصلة بينهما، وهو ما تنبه له العلماء ـ فيما بعد ـ فصنعوا آلة تصوير بعدستين تظهر البعدين : الأفقي والرأسي ومن ثم تجمعهما بالثالث (العمق) ؛ فتظهر الصورة بأبعادها الثلاثة في لوحة واحدة ، وقد اصبغت جمالا ووضوحًا ، بعد أن أبرزت تقاسيم كانت مخفية ، وكانت ستظل كذلك لولا هذه التقنية التي أسهمت في إخراجها بالكشف عن أبعادها كلِّها ، وهو ما تحتاجه اللُّغة العربيَّة منَّا حتى نظهر مفاتنها وأسسها ، وقدراتها البيانية والدلالية مستخدمين التقنية الفكرية ، ناهجين الاستقرائية والتتابعية والاستدلالية حتى يمكننا تجسيد الكلِّ في الواحد الصَّحيح ، وبيان قيمة الواحد الصحيح (الضاد) من منظور الفاعلية الحسيَّة الكلية (الأبعاد الثلاثة) الهادفة لتحقيق قدر أكبر من المعرفة بالمُتناول (اللغة العربية) لإجلاء قيمته بصورة أكثر دقة ، وأعمق رؤيا.

وإنَّه لمن نافلة القول والتكلف فيه أن نذكِّر بأنَّ البعد الواحد قد يفي بالرؤية لكنه لا يصل بالرؤيا إلى منتهاها ، تلك التي توصل إلى أبعد من المرئي المباشر ، وهو ما يتكفل به البعدان الآخران : الثاني والثَّالث ، وهذا ما يكون في الأشياء المجسمة ؛ أمَّا فيما نحن بصدده ، وهو البحث في اللغة العربية للوصول إلى ما يربط الرؤيا بالواقع (الحقيقة) ؛ فالأمر يختلف ، إذ تتكاثف وتتكافل الأبعاد الثلاثة لتكمل البينة على التقييم القيمي للكيان ، هذا الكيان الذي لم تؤثر فيه العوامل الطبيعية كالزمن ، أو غير الطبيعية كالمناكفات والصراعات ، بما حصَّن يه نفسه من رباط القدرة على الديمومة الماكنة في أي عصر ، أو ظرف.

ـ البعد الزماني :

البعد الزمني ومعادله التقني (الطول) هو واحد من أبعاد ثلاثة نسعى لتفصيلها تأهبًا لدمجها في المحصلة النِّهائية المتمثلة في النتائج التي سنظهر بها ، والتي نؤسس لها في المكان اتكاء على مغرفتنا بأنَّ نوع التعاطي مع الشيء يحدِّد آفاقه ، ويبين قدره وقيمته جمالية كانت أم تركيبًا أو مركَّبًا ، وفي مثل هذا تتبارى العقول لإتقان آليات أكثر تطورًا لبيانه متكاملا متناسقًا بالتركيز على الحواس كلِّها أو بعض منها، وهو ما نلمسه بجلاء في تقنيات التَّصوير لحشد أكثر فاعلية في الوضوح والمتعة ومن ثم الفائدة ؛ فكانت تقنية تعدد الأبعاد لاكتمال المشهد الواحد؟

نشرع من الحقيقة الدامغة المسلَّم بها التي تنصُّ ـ بشكل صريح لا يقبل جدلا ولا مماحكة ـ على أن اللَّه عليم بشؤون كونه مذ خلق السموات والأرض ، ثم فقتهما . ومن هذه الحقيقة ندرك أنَّ الله يعلم أنَّه سيرسل نبيًّا رسولاً خاتمًا بكتاب خاتم (القرآن الكريم) بلسان عربي مبين. وهذا ما لو تجرأ أحد على أن يشكك فيه لما وفَّق قيد مفردة واحدة ، أو قل حرف واحد. ومن ثم نصل إلى أنَّ الاهتمام باللغة العربية قد قاد بعض من انخرط في مسألة التتبع والاثبات إلى الاحتجاج بما ورد مرويًا عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلَّم قال : « أحبوا العرب لثلاث لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي» [١١].

إنَّ مجرَّد وجود حديث منسوب إلى الرسول ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ بشأن اللُّغة العربية ولو موضوعًا لهو دالٌ قويٌّ على علو شأن مضمونه سواء أكان الواضع حسن النية ، أو سيء القصد ، إذ سيستفاد من كلِّ ما دار حوله في الوقوف على المعرفة القيمية لمكانة اللغة العربية ، حيث يشير إلى سعي السَّاعين لاستدعاء فرضية مفادها : أنَّ العربية تستحق التشريف والتكثيف الوجودي ، لذا عمدوا ـ بغض النظر عن الأسلوب والطريقة ـ إلى تأطير بعدها الزمني ما بين بدء الخلق ومعيشهم في الدنيا وخلودهم في الآخرة في مدٍّ زمني لا متناه. ، وفي حال غير آبهة بالمتغيرات العالمية : طفحت أم رست . ثم أليس لنا أن ننظر إلى هذا القول المنسوب للرسول ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ الذي عدَّه كثيرون أنَّه موضوع محتجين بتعارضه مع نهي الرسول الكريم ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ وحثِّه على عدم التفاخر بالأحساب والأنساب؛ ننظر نظرة متأملة فسندرك أنَّه لم يكن فيه ما موضع دعوة للفخر والتفاخر كونه يقرن اللُّغة العربية به وهو العربي العرق

العالمي الرسالة . وقد ردَّ الله على المتقولين ـ افتراء وبهتانًا ـ بأن مصدر القرآن الذي جاء به الرسول ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ وحيًا عن ربه غلام أعجمي ؛ فقال تعالى ﴿وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّهُم يَقولونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذي يُلحِدونَ إِلَيهِ أَعجَمِيٌّ وَهـذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ﴾١٢ ؛ فهل يحقُّ لنا أنَّ نؤولَّ في هذه الآية على أنَّها رفعة للعرب على العجم ومنهم المؤمنون بالله ورسوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لذا فإنَّنا نرى ـ والله ثم العلماء أعلم ـ أنْ ليس في هذا الحديث المصنَّف دال على فخره ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا بذاته ولا بنسبه ولا بقومه ، وإنما تشريف للسان القرآن.

لا مزايدة تعترينا ، ولا مبالغة في القول تُحْسَبُ علينا في جزمنا أنَّ اللغة العربية كانت وستظل أهلاً لأن يليق بها ما وسمت به من شرف وعز وعلو شأن ؛ كيف لا ولها من الميزات من يمنحها من الهيبة والجلالة ما لم يكن متوفرًا لغيرها من اللُّغات ، والدليل على ذلك قطعي لا يمسه مثقال ذرة من ريب حيث « إن القرآن الكريم جاء بأصفى ألفاظ اللغة العربية وأعذبها وأفصحها ، مما لا يمكن أن يخدش عربية لغة القرآن ، بحيث لا تجد لفظًا واحدًا فيه إلا وله أصالة في العربية»١٣.

وإنَّه ليجوز لنا ـ بعد هذا التعبير الدسم المعاني والدلالات ، ومن واقع الدلائل المستندة على اليقين بصحة اعتقادنا في ثراء اللغة العربية : قدرًا وتشريفًا واختصاصًا وإسنادًا لمهام عظيمة ـ أن نقول : إنَّ بداية الوجود للغة العربية تعود إلى بداية وجود الكون ، كون كلَّ كائن يحتاج إلى وسيلة تواصل مع محيطه الذي يبتدئ من عنده وأبناء جنسه ؛ فكيف لا يكون الإنسان المخلوق الأكرم والأكمل بين الخلائق كلِّها مالكًا لهذه الوسيلة وبشكل أوسع وأعم وأكثر تنوعًا وتعددًا. ولا نشكك ـ بالرغم من التجاذب وعدم التوافق التام على الأدلة والأسانيد الراجحة ـ في أنَّ اللُّغة العربيَّة كانت من أوائل الألسنة ، وقد سار جواد علي في هذا الاتجاه ؛ فقال :«» وترى علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما يذهبون إلى أن «يعرب» كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي، ثم يقولون: ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم، أي أنهم يرجعون عهده إلى مبدأ الخليقة، وقد كانت الخليقة قبل خلق «يعرب» بالطبع بزمان طويل. ثم تراهم يقولون: أول من تكلم بالعربية ونَسِي لسان أبيه إسماعيل. ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً. وكان أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة، وهو ابن أربع عشرة سنة. و إسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم» ١٤.

لقد كان الطوفان في زمن نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ حدثًا مفصليًّا ، وتراتبًا زمنيًّا في الحياة الكونية كلِّها ، والبشرية جزء مهم في هذا الكل ، وبأثر منه كان لزامًا أن يجدد الباقون الذين نجوا من الطوفان وجودهم فيشرعون في تكوين نمط جديد متطور لحياتهم ؛ فكانت الحضارة البابلية على ضفاف دجلة والفرات (العراق) ، ثم على ضفاف النيل (مصر)، وفي الصين فكان حتميًا أن يتبع هذا التشعب تعدد لساني ، وهو ما نشأ عنه تطورات في أعداد اللغات وأشكالها ؛ فازداد عددها بحكم الحاجة لألفاظ تعرف بها الأشياء المكتشفة في الأماكن التي نشأت فيها الحضارات الجديدة ؛ فأطلقوا عليها أسماء خاصة باستخدامهم الخاص ، الأمر الذي أوجد اختلافًا اسميًا متفاوتًا للمسمى الواحد ؛ ولما لا يكون هذا واللُّغة «هي أحد مفاعلات الوجود الإنساني إذ هي طرف المعادلة النَّوعية لثبوت خصوصية الإنسان . ولما كان الإنسان حصيلة تعادلية بين طرفي وجود المادة زمانًا ومكانًا فإن معادلة التفاعل تنصهر فيها عناصر الإنسان واللغة والزمان والمكان فَيَنتج حتما التغير والاستحالة. هذه المعادلة العامة هي التي نَزْعم أنها متجذرة في صلب التفكير اللغوي العربي على مداه»١٥.

ولا مراء في أنَّ لكل أهل حضارة لغة ، وهو ما كان سبيلا لتواتر كثير من اللغات ، ومن ثم تفرعها ومن بين هذه اللغات اللُّغة العربيَّة التي خصَّها الله خالق الأجساد الحاملة للألسنة النَّاطقة بالأصوات ؛ بتكريم عظيم يجعل كلَّ فهيم يرى أنَّها كانت وسيلة التخاطب في بدء التواصل الإنساني مع محيطه ثم مع بني جنسه ، وهو ما يجعلنا نعتقد أنَّ الحوار الأول مع أبي البشر آدم الذي كان يلزمه أداة ليتحقق (لغة) ؛ وهل سيكون أكرم من لغة القرآن ـ مما علمنا وعرفنا من

لغات ـ لتكون هي الأداة؟ مع أنَّه من الوارد ـ أيضًا ـ أن يكون قد علمَّه الأسماء باللغات كلِّها ومنها العربية ؛ فقد جاء في الخصائص:» إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم إن ولدوه تفرقوا في الدنيا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه ، واضمحل عنه ما سواها ، لبعد عهدهم به»١٦.

واللُّغة العربيَّة متواترة زمانيًّا ومكانيًّا ، فقد كان للشيء الواحد أكثر من لفظ يطلق عليه ويعرف به وليس أيسر من ضرب أمثلة على ذلك ؛ فآلة القطع (سكين) عرفت عند القريشيين بهذا الاسم ، بينما لها عند قبيلة (الأزد) اسم آخر (المدية). وهو ما جعل أبا هريرة ـ الأزدي النسب ـ يدور حول نفسه جادًا في البحث دون أن يصل إلى ما طلب منه الرسول ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ فعله ؛ إذ طلب منه أن يناوله ما وقع منه قائلاً : اعطني السكين فأخذ يبحث عنها وهي أمامه لغرابة المفردة عليه. وليس سؤال سيدنا عمر بالخطاب عن الأب في قوله تعالى (وفاكهة وأبا) حين سمعها فقال : هذه هي الفاكهة فما الأب؟ . مع أن القرآن ـ بشهادة رب العالمين ـ نزل بلسان عربي مبين ، وفي هذا دلالة واضحة على أنَّ البعد الزمني ذو تأثير في الإلمام بمفردات اللُّغة الواحدة ، وذو بيان لسمة الامتداد الزمني للغة العربية وكذلك المكاني ، الأمر الذي خلق التنوع في الاستعمال اللفظي المتعدد للمعنى الواحد أو الدلالة الواحدة ؛ فلو لم يكن ذلك واقعًا لكان سهلاً ميسورًا لأبي هريرة أن يلتقط السكين ويسلمها للرسول ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ دون عناء وكذلك الشأن مع سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه . إذ لا الرسول ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ بمخترع لاسم من عنده ، ولا الله بآت في كتابه المنزل على عباده بلسان نبيه (العربي) بمفردة لا علم لهم أو لبعضها بمسمَّاها أو دلالتها أو معناها. وإن في هذا لتأكيد على أن لغتنا العربية ذات أبعاد تنبئ ـ إذا ما امعنا البحث فيها وعنها ـ بثراها المعجمي والدلالي ، وأصلها الضارب في مهد الدهر إلى لحده. كما يبين لنا ما لمعاجم اللغة بدءًا من معجم العين ، وليس انتهاء عند لسان العرب من فضل علينا ، وما لأصحابها من عظيم وفاء للغتهم العربية.

وتشهد كتب التاريخ واللغة معًا لكثير من العلماء الذين قضوا سنين طويلة من أعمارهم في أثر اللغة العربية بحثًا وجمعًا وتفصيلاً ، وهو ما يفتح الأبصار والبصائر على حقيقة أنَّ الزمنية في اللغة العربية ذات مدلول عميق الرؤية ؛ فاللغة جَعَلتْ عالمًا مجتهدًا كالنضر بن شميل يحتاج إلى أربعين عامًا يمضيها في البادية يجمع الألفاظ ، ويسوق المعاني ، وآخر كالكسائي يُنْفِدُ خمس عشرة قنينة حبر يدون الكلمات ويحدد المسميات ويكتب عن العرب ... وغيرهما كثيرون. ولا يزال البعث في اللغة العربية سمة تراود كلَّ عصر كونها القديمة المتجددة ، الناجزة المواكبة لكلِّ حدث ؛ « فالزعم بأن الفصحى عاجزة عن مسايرة الزمن وتلبية حاجات حياتنا اللغوية ، مردود بما أثبتت على مسار الزمن من طواعية للنمو وصلاحية للبقاء»١٧.

ـ البعد المكاني :

البعد المكاني ومعادله التقني (العرض) ، واتجاهه لا يمكن أن يكون معاكسًا حقيقيًا للبعد الآخر السابق له (الزماني)؛ فإذا ما سرنا بفرضياتنا إلى حيث استجلاء الإطار القيمي لهذا البعد ، لنقف على عناصر تقاطعه الكلِّي الذي من شأنه أن يعطينا الصورة الكاملة الواضحة المعالم لفهم اللُّغة العربية فهمًا ناضجًا ؛ فإنَّنا سنجد أن المنطق يفرض علينا منهجه في عقد الصلات بين الأبعاد كلِّها . وإذا ما عقدنا العزم الفكري على الإحاطة بالمعرفة التامة ؛ فمعنى هذا أنَّنا ملزمون من وعينا بالسير في خط أفقي لنكتشف أنَّنا في تواز مع الخط العمودي كون البعدين : الزماني والمكاني ينطلقان من نقطة واحدة ـ سبق الإشارة إليها في الاستعمال الأول (النطق بها في أول البدء الإنساني) ـ ومن ثمَّ كان الهبوط الذي كان المبتدأ الأفقي من بعده مباشرة ، ليمتدَّ إلى ما شاء الله. وتحتم فرضية الرؤية أن نتعامل مع البعد المكاني على أساس أنَّه ينقسم إلى شقين : البعد المكاني المعنوي ، والبعد المكاني المادي.

أولا : المكاني المعنوي:

وليس أجدر بقدر اللغة العربية من أن تكون لغة متداولة في السماء ، وفي أول أمر الخلق ، وفي المكان الرفيع المقام، وهو ما ذكرته بعض الكتب لبعض العلماء المشهود لهم بالكفاءة ، وحسن التأويل والتأصيل ؛ فقد ورد في تفسير القرطبي : « اختلف في أول من تكلم باللسان العربي ، فروي عن كعب الأحبار : أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام. وقاله غير كعب الأحبار. فإن قيل : قد روي عن كعب الأحبار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام... ورواه ثور ابن زيد عن خالد بن معدان عن كعب. وورد فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول من نطق بالعربية ووضع الكتاب على لفظه ومنطقة ثم جعل كتابا واحدا مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما «١٨. كما وَقَعَ مِنْ حَدِيث ابْن عَبَّاس عِنْد الْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرَك بِلَفْظ: « أَوَّل مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّة إِسْمَاعِيل « وَرَوَى الزُّبَيْر بْن بَكَّار فِي النَّسَب مِنْ حَدِيث عَلِيّ بِإِسْنَاد حَسَن قَالَ: « أَوَّل مَنْ فَتَقَ اللَّه لِسَانه بِالْعَرَبِيَّة الْمُبِينَة إِسْمَاعِيل وَبِهَذَا الْقَيْد يُجْمَع بَيْن الْخَبَرَيْنِ ، فَتَكُون أَوَّلِيَّته فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ الزِّيَادَة فِي الْبَيَان ، لَا الْأَوَّلِيَّة الْمُطْلَقَة ، فَيَكُونَ بَعْد تَعَلُّمه أَصْل الْعَرَبِيَّة مِنْ جُرْهُم أَلْهَمَهُ اللَّه الْعَرَبِيَّة الْفَصِيحَة الْمُبِينَة فَنَطَقَ بِهَا»١٩.

ويمضي القرطبي في دعم ما مضى إليه بما يسنده ويؤكد به صحة ما يراه من خلاله ما يثبته بالشواهد مع اعتقاده بصحتها ؛ فيكرر موقفه اليقيني منها «قلنا: الصحيح أن أولَ من تكلَّم اللغات كلها من البشر آدم، عليه السلام، والقرآن يشهد له، قال الله تعالى: (وعَلَّم آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها) واللّغات كلها أسماء، فهي داخلة تحته، وبهذا جاءت السُّنّة، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «وعلّم آدمَ الأسماء كلّها حتّى القَصعةَ والقُصيعةَ» وما ذكره يحتمل أن يكون المُراد به أولَ مَن تكلّم العربيّة من ولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإسماعيل ـ عليه السلام ـ وكذلك إن صحّ ما سواه فإنّه يكون محمولاً على أن المذكور أول من تكلّم من قبيلته بالعربيّة، بدليل ما ذكرنا، والله أعلم، وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علَّمها الله آدم، أو جبريل على ما تقدَّم. والله أعلم»٢٠.

إنَّ لفي الأقوال التي سبق ذكرها لإشارات ودلالات بينة على المقام العلي للغة العربية ، هذا المقام الذي تشكَّل لنا مجسَّدا في هيئة كيان ثابت الأركان تدركه البصائر قبل الأبصار، وقد كان البعد الأول (الزمني) وراء بروزه بهذا القدر العظيم من الوضوح والبينة الذي عنيت به الدراسات اللغوية والتاريخية والفقهية.

وتسير مفردات اللغة العربية إلى حيث يحتاجها الناس ، والعلماء ـ منهم ـ بخاصة ؛ فتكون وجهة يحتكمون إليها في تأييد أو شجب ، في تأكيد أو تعديل أو تأويل ، وما شهدته الحقب السالفة قديمًا من احتجاج باللسان العربي على كثير من المسائل ، ومن احتجاج بها لتأصيلها ؛ لهو برهان على مكانة اللغة العربية في النفوس قبل الألسنة. وكتب التأريخ للُّغة لا تخلو من ذكر لذلك للاستشهاد به لإثبات رؤية معينة بعينها ، ومن أشدِّها جذبًا للألباب ما ذهب إليه القائلون بأن اللُّغة العربيَّة هي أمُّ اللُّغات استئناسًا باسم أبي البشر (آدم) عليه السلام . لقد وقعت على قول منشور يدعو للوقوف عنده بما حمل من تحليل منطقي إذ رأى القائل إنَّ اللُّغة العربية أصل اللغات ؛ فقال: « إذا سألنا أي إنسان على وجه الأرض لماذا سمي أبو البشر باسم آدم لن تجيبنا سوى اللغة العربية ؛ فاسم (آدم) مشتق من الاسم العربي أدم أي صَلُحَ، لأن أديم الأرض هو الجزء الأسود منها الصالح للزراعة. ولا يوجد الجذر الثلاثي (أ د م) في أي لغة أخرى، ألف المد عند نحاة اللغة العربية هي ألفين الأولى متحركة بالفتحة والثانية ساكنة، على وزن أفعل التفضيل (ااادم) أي الأصلح. ولا يمكن اشتقاق اسم) آدم) من غير العربية.فإذا كان لا يوجد في اللغات العروبية التي يُطلق عليها خطأ اللغات السامية ـ وهي (العبرية، الآرامية، الكنعانية والسريانية) ـ صيغة أفعل التفضيل، إذن فإن اسم آدم عربي، ومن ثم كيف يتكلم غير العربية ؟ وبهذا نكون قد أثبتنا أن اللغة العربية هي أقدم لغة على وجه الأرض لأن أبو البشر يتكلم بها. ولذلك فجميع اللغات تأخذ من العربية فهي أصل لغات العالم. وفي اللغة الإنجليزية، ورغم أن ترتيب الحروف هو

A B C إلا أنهم يقولون عنها ألفابيتك مثل اللغة العربية أ ب ت.. وهكذا يعود الإنجليزي إلى العربية أصل اللغات « ٢١. لربما قد سبقه إلى هذا آخرون لم أصل إلى مؤلفاتهم. لكني وصلت إلى أنَّ اللُّغة العربيَّة رسخت لذاتها أساسًا متينًا وحججًا بليغة أفادت باستحقاقها الجدارة الزمانية والمكانية المستمدتين من زمن النطق بها ومكانه ، المتممَين بالاستخدام من بدء الخليقة إلى مستقرها ومستودعها.

ثانيًا : المكاني المادي:

علمنا مما ذكرنا في الفقرة أولا أنَّ جبريل عليه السلام ـ رسول الوحي من الله إلى رسله ـ وآدم في أول خلقه قبل هبوطه إلى الأرض ، ثم إسماعيل ـ عليه وعلى أبيه السلام ـ الذي تركه أبوه ـ نبي الله إبراهيم ـ في مكة ؛ جميعهم تكلموا العربية في الأمكنة التي حلُّوا فيها بأمر من الله تعالى ؛ فإذا ما نظرنا نظرة واحدة ببصيرة واثقة في آن واحد إلى قدسية هذه الأماكن ، وعظم قدرها بالربط بينها وبين الشق الآخر (البعد الزماني) لرأيناها كلُّها ـ بأبعادها الثلاثة ـ جسمًا واحدًا ، يظهر علينا في صورة واضحة المعالم تشع قيمة لا يشوبها أيُّ شبهة أو تشويش لكائن ذي قدر وإجلال اسمه اللغة العربية بكامل بهائها المتأصل فيها لا المضاف عليها.

وقد تمددت اللُّغة العربيَّة عبر الزمن كغيرها من اللغات الأخرى حيث سارت في معية الناطقين بها ، أو المختلطين معهم بحكم البيئة أو المشترك اللفظي ، أو العقدي ، وهو ما كان ناتجه « تقسيم اللغات إلى مجاميع بحسب طرائق عدة كأن يكون الرابط التواشج الجغرافي أو التواشج الوصفي ، وتسمى كل مجموعة أسرة والمجموع أسر»٢٢ ؛ فأوحى ذلك للمهتمين بالشأن اللساني بابتكار سبل لترتيب هذه المشتركات كالذي سار فيه أبو الطيب اللغوي في كتابه (شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة) ومن ثم تبعه على نهجه آخرون ، منهم رمضان عبد التواب الذي راح يفسِّر كلَّ لفظة بالأخرى التالية لها ؛ فالتالية ، فالتالي ...، إذ اعتبر كل تفسير شجرة ؛ فأخذ « يسمي كل تلك التفسيرات المنبثقة من لفظة واحدة: شجرة ، وكل تفسير منها : فرعًا لتلك الشجرة ... ويستعمل ما في اللغة العربية من كلمات (المشترك اللفظي) الذي يعالجه فيما بعد. مثال ذلك :

إنَّ لكلِّ لغة خصوصية صوتية ، كما لها ثوابت لا تحيد عنها مهما تعددت أسباب التباعد بينها وبين موطنها الأصل ، وهو ما يمكن أن نحكم به لصالح اللغة العربية من منظور بُعدها المكاني القيمي الذي رسَّخ في ألبابنا ـ بالواقع والحجة ـ ما هي عليه من قوة وتماسك حتى في مواطن اللغات الأخرى كالفارسية مثلاً ؛ فلو تتبعت سيرة بعض من نطقوا العربيَّة، بل وكتبوا فيها وعنها في عقر دار اللُّغة الفارسية «فأنت ترى للسليقة العربية مكانها في أصبهان مثلا لم تفقد دورها ببعدها عن البادية الفصيحة»٢٤، وتلك البادية هي معقل اللُّغة العربية التي بألسنة أقوامها خاطب الخالق سبحانه في القرآن الكريم العالمين كافة ، في مواضع كثيرة ، والتي هي ذات اتساع مكاني شاسع إذ كان للأقوام العربية لهجات خاصة بهم يتبادلونها فيما بينهم ، حتى جاء القرآن باللغة العربية فعرض لبعضها في مواطن كثيرة . لقد كان ابن عباس «يقف عند بعض الألفاظ التي جاءت على غير لهجة قومه إلى أن يصيبها عند ألسنة أهلها فمن ذلك قوله : ما كنت أدري ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها : أي بدأت حفرها ، وجاء رجل من هذيل فقال له ابن عباس: ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء فقال ابن عباس (فبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قال : ولد الولد) ٢٥ .

ـ البعد الدلالي :

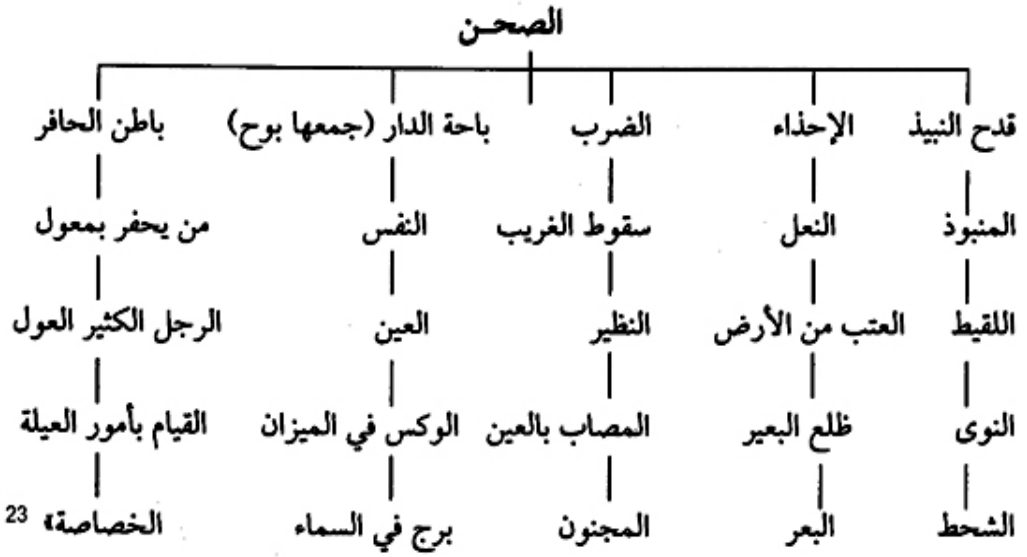

اللُّغة : أي لغة جماع أصوات تآلف مُصدروها عليها من خلال تحديد نغمتها المستأنسة ، وعلى مقاصدها ، ومن ثم الاستنباط المباشر لمعانيها من خلال إيقاعها أولاً ، ودلالاتها الجمعية ثانيًا ؛ إذ لا تحصل الفائدة الكاملة إلا بتجاورها لخلق قيمة معرفية بما يراد من إطلاقها من منطقة الوعي لتعبر بترددات صوتية إلى منطقة الاستقبال عند الطرف الآخر المعني المباشر وغير المباشر بها ، عبر مخارجها من أجهزة النطق في الجسد لتفرغ حمولاتها الدلالية والنفسية في وعي المُخاطب : القارئ أو السامع لها ؛ فتنشط عملية التفاعل بين الرسالة (الموضوع) وبين المستهدف به على الصعيدين: الفرد والجمعي اللذين يعيان أو يجب أن يعيا « أن الدلالة عرضة لتغير أوسع وأسرع من التغير الذي يصيب بقية عناصر اللُّغة كالعناصر الصوتية والصرفية والنحوية»٢٦.

وقد اقتضت صلة التوظيف اللغوي أن يكون لكلِّ خطاب سياق يسير فيه ، حاملاً فكرة عامة ، أو رؤية خاصة ، أو خبرًا يذاع ، أو استفهامًا يُلقى في تراكيب صغيرة وكبيرة يسعى لطرحها وإسنادها بما يدعِّم فاعليتها بالتتابع الجزئي أو الكلي ، أو التتبع والاستقراء : تتبع تتابع الحروف وما فيها من أصوات متعددة متنوعة ، ومن ثمَّ تتابع الكلمات فالجُمَل التي تتوالى لتحقق غايتها من الأثر المنتظر باتخاذ سبيل موصل إلى الدال ، ومن ثمَّ إلى المدلول ؛ فالوقوف على المعنى الذي حُشدت هذه الطاقات كلُّها لبيانه والإفصاح عنه لإعلاء شأنه ، وهو ما تحرص الدراسات اللغوية والقرآنية على تأكيده مِن أجل تحقق الغرض منها ، ومن أجله تنمو اللُّغة كي تحقق» تطورها بالاتجاه الإيجابي ، نوعًا وكمًّا أو بأحد هذين المستويين . وتختلف روافد نموها واتساعها بحسب مدى النمو ، إذ أنَّ هناك نموًّا جزئيًا يتحدد بإحدى مناحي اللغة النامية ، كالصوت أو البنية أو التركيب والدلالة أيضا في حين يكون نموُّها أحيانًا كليًا بحيث تنمو اللغة نموًّا كاملاً على مختلف مستويات تشكلها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي»٢٧.

ولمَ تبقَ دلالة الألفاظ على حالها دون أنْ يطرأ عليها تبدل بفعل البعد عن زمنها الأول الذي استعملت فيه ؛ إذ لحقها التغير الذي شرَّعه الاستخدام الزمني للوعي الجمعي في الزمن الأحدث فالأحداث . ومن صور هذا مفردة : (منوال) التي لا تعرف لها اليوم معنى سوى (الطريقة أو المنهج) ؛ فنقول : سار على المنوال ذاته ، أو مشى على منوال فلان. بينما هي في معناها الأصل « الحائك الذي ينسج الوسائد ونحوها...أي أنَّه ينسج بالنول وهو مِنْسَج يُنْسَجُ به

وأداتُه المنصوبة تُسمَّى أيضًا منوالاً»٢٨. ومن ذلك أيضًا مفردة (زخم) التي لا نستخدمها اليوم إلا في الدلالة على الكثرة ؛ فنقول : حضر الحفل زخم من المشاركين والمدعوين ، بينما لم يكن لها هذا التوظيف الدلالي قبلا إذ الزخم هو» الرائحة الكريهة ، وطعام له زخمةٌ. يقال أتانا بطعام فيه زَخْمةٌ أي رائحة كريهة . لحم زَخِمٌ دَسِمٌ : خبيث الرائحة»٢٩ ، وهكذا في دلالة واضحة على أنَّ اللُّغة العربيَّة تعرف التَّطور بل هو سمة جليَّة فيها.

نطمح بما نقدِّم من شواهد تشهد للغة العربيَّة بالقيمة الذاتية بغض النظر عن كمِّ الاعتناء بها وكيفه إلى وضع الحقائق في مجاريها كي يفقه من يبتغيها دليل وعي ، ومرفأ فكر يرسو إليه ليواصل البحث منه عمَّا يغنيه بمزيد القول الذي لا تستوعبه دراسات عوضًا عن بعض بحث.

لقد كان المقصد المرجو الاطلاع عليه وسبر مفاهيمه لتكون الدراسات مجتمعة عاملاً فاعلا في التكامل بين الذوات باختلاف صفاتها ، وما تحتاجه من فقه في الدين واللغة - تأسيسًا على النص القرآني - وتفقه في اللُّغة اعتمادًا على خاصيتها باعتبارها هوية حمالة القيم التي من طبعها وثرائها توفير كلِّ ما يفسِّر اللفظ بما تملك من شحنات المعاني القادرة على تنمية الوعي بما يحقق الفهم ، ويفك الإبهام والغموض. من هنا فإنَّ الصيغة التي تفرض نفسها حقيقة تامة دامغة أنَّ القرآن خير شاهد ، وأصدق برهان على ما في العربية من بديع لفظ وحسن بيان ، لما تمتلك من روافد غنيَّة ، فـ « أكثر موارد الإبداع في لغتنا العربية من اشتقاق فريد لا يدانيه اشتقاق لغة أخرى في سخاء مشتقاته وروعة نظامه وانتظامه. ومن نحو يتسم بالمرونة ، وثراء التراكيب ، وقدرة فائقة على الإيجاز والإيعاز ومن معجم لا يفوق تعدد مترادفاته ، إلا وفرة معاني مفرداته وكثافة مضمون كلماته»٣٠.

- العمق الدلالي في النَّص القرآني:

إنَّ الدراسات القرآنية ليست ذات وظيفة نقليَّة لآيات القرآن وحسب ، بل هي مُقَرِّبة لها من المسلم وسواه بالشرح والتفسير والتأويل ؛ ليزداد المسلم إيمانًا ، وليعرَّف غير المسلم بالمضامين الروحية والأحكام الشرعية في استدعاء لفطرته الأصل في تمهيد لوضع عقله على المسار المستقيم ، ومن هنا تكون الحاجة إلى الاتكاء على اللغة ، ومن خلفها الخاصية التأثيرية للصوت اللُّغوي في نفس السَّامع أكثر إلحاحًا في توجيه الدلالة وإدراك المعنى ، لذا جاءت الدراسات التي تعنى بالحرف والعلامة في القرآن الكريم ، وما تحدثه من أثر في النفس فتضع موازين اللبِّ وفقًا لهذا ، فيكون القرار بالارتقاء إلى مستوى القيمة اللفظية الموزَّعة على أصوات ذات دلالات ، والعربيَّة أمُّ اللغات فيها من القدرة والسعة ما يلبي هذا وأكثر وأبلغ.

ولو أنَّنا وقفنا بشكل فاحص موازٍ مقابل بين ما يصدر عن أعضاء النطق فيخرج محسوسًا على اللسان ، وبين ما يستقبله السَّمع فيوصله إلى اللُّبِّ ومنه إلى البنية النفسية وما يؤثر فيها ؛ ولو وقفنا دارسين باحثين في المكون الصوتي للحروف العربية الذي لا يعدو - كما يرى بعض الدارسين ، وكما في اللغات كلِّها - أن يكون انعكاسًا لأصوات الطبيعة كصوت الريح والشجر والمطر والرعد والاصطدام والرفرفة والتكسر والاشتعال .... وهذا رأي قاصر ينقصه السند ؛ لأنه « إذا كانت الطبيعة هي التي أوحت بها يجب أن تكون هي نفسها في جميع الأقطار ... أصوات الطبيعة لم تكن تتطور إلى لغة منطوقة أبدًا من دون المرور بالمرحلة الثانية.» ٣١ ؛ فلو فكرنا في تطبيق ما اختمر في أذهاننا من رؤى على الأصوات المكونة لبعض المفردات والجمل لشرعنا نستدعي إيحاءات نفسية تُحضِر من الذاكرة مفردات مماثلة في المعنى بما يؤكد أن الجذر اللغوي المكرر للمفردة (المكون الحرفي) يضمن التواصل المعنوي مع ما سواها. ويمكن أن نستوضح هذه الفرضية بالتعاطي مع المستوى الصوتي والدلالي لمفردتين ورد ذكرهما متتاليتين في القرآن الكريم ، هما : السَّراء والضَّراء المتضمنتين لمعنيين ، والحاملتين لدلالتين متضادتين : الفرح (الأولى) ، والتَّرح (الثَّانية) ؛ لنصل إلى النتيجة التوكيدية على أنَّ الفارق - تكوينًا - حرفٌ واحدٌ : (س) في السَّراء، و(ض) في الضَّراء. وعند العودة إلى

مَخْرَجَي هذين الحرفين في أعضاء النطق نجدهما متقاربتين في المكان ؛ فمخرج السين: طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى ؛ فهو حرف (أسلي) ـ نسبة إلى أسلة اللسان ـ وهي (طرفه ومستدقه) ، وبه ما به من (الهمس ، والرخاوة ، والاستفال ، والانفتاح) ، ومخرج الضَّاد : أدنى إحدى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا ، وله ما له من (الجهر ، والاستعلاء ، والاطباق ، واستطالة الجهر والشدة) ، لذا نجد أن مفردة الضراء تأخرت في المساحة الكلامية وتقدمت في قوة النبر وشدة التحذير المستقى مما بقي من قول ، ومما تأخر من دلالة لينكشف المعنى العام للمفردتين في النسق السياقي بواسطة (الأسلوب الخبري).

إنَّنا لنلحظ أنَّ حرفي السين والضَّاد يشتركان في منطقة الطرف اللساني لكنهما لا يلتقيان في عامل مساعد واحد للسان لإتمام عملية النطق ، إذ أنَّ السين تكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى من فويقها ، بينما الضَّاد بالتقاء أدنى حافة اللسان من جهته اليسرى ـ غالبًا ـ بالأضراس العليا من الخلف . كما أنَّ السين يقع في حزمة حروف الصفير كونها تخرج باندفاع الهواء ، غير أن الضَّاد لا زمرة لها فهي متفردة بحالها في مخرجها ، وفي خاصيتها التي وسمت بها اللغة العربية ؛ فقيل : (لغة الضَّاد) لصعوبة استعمالها مقارنة بغيرها من الحروف ـ ولسهولة استخدمها بما لا يكون في اللُّغات الأخرى المشتملة على الخرف نفسه ـ لكننا سرعان من نعي أن الضَّاد ـ الواقعة في صدارة الحروف التي تألفت منها كلمة الضَّراء؛ حرف أساس ، بل هو صدارة لكثير من المفردات الحاملة لدلالات المأساة والإنهاك النفسي كونها مُيّزت بالوقع العنيف ، والمؤلم المُنفِّر المخيف نفسيًّا وشعوريًّا ، تلك التي تتقاطع مع مفردة الضَّراء في المعنى والدلالة مثل : ضرب ـ ضلال ـ ضبع ـ ضباب ـ ضياع ـ ضيق ـ ضنك ـ ضوضاء ـ ضغينة .... ونجد أنَّ السين ـ ثالث حروف الصفير ـ والصَّفير مصاحب للفرح ـ فغالبًا ما يقع في مقدمة الكثير من المفردات التي تشترك في المكون المعنوي والدلالي مع كلمة السَّراء ، وهو ما يمنح تواترًا نفسيًّا متجانسًا يبعث على السعة والارتياح ، مثل : السعادة ـ السَّحَر ـ السُّمو ـ السِّيادة ـ السَّلام ـ السُّلوان ـ السبيل ـ السَّلسبيل ـ السَّماء ... وهو ما يضعنا في سياق دلالي يقودنا إلى أجواء من الفرح ؛ فنفهم المقصد الإلهي من توظيفها في السياق العام للقول المستند على غاية التوجيه نحو ما يراد استيعابه من المفارقة بين الحالتين وبين الطَّائفتين المعنيتين بالخطاب البياني القرآني في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾٣٢ ؛ لنجتهد كي ننال الإنفاق بلا مبالاة بالحال الذي يحدده معنى كلٍّ لفظة .

يمكننا أن نصوغ من الوقع الصوتي لحرفي السِّين والضَّاد ما يمهِّد لاستجابة نفسية موجَّهة إلى حيث تُكْمِلُ الحروف المشتركة الباقية (راء) سيرورة السياق ليُفْصَحَ عن الدلالات التي تبوِّب لها المرادفات في المعاني التي يستطرد القول في استحضارها ؛ فيتحقق الفهم لما أراد الله لنا أن نتبينه ، ومن ثمَّ نعلم أنَّ المرء مخيَّرٌ في بعض شأنه لكنه مسؤول عمَّا سيكون فيه باتباعه للنَّهج الذي ارتأه لنفسه سبيلاً موصلاً ؛ إمَّا إلى الجنة ـ المقترن الوصول إليها بأفعال تحتاج إلى صبر وبذل مضاعفين ، وإمَّا إلى جهنَّم التي تنتظر كلَّ من يحيد عمَّا طُلِبَ منه.

وبالمنظور الشعوري ندرك أنَّ مفردة السَّراء طيبة سهلة الوقع في السمع ، لينة رقيقة في النطق بها مثلها مثل مفردة الجنة ، في المقابل نجد أنَّ مفردة الضَّراء صعبة في النطق ، عنيفة على النفس كما على السمع كما هي الحال مع مفردة جهنَّم ، واللافت أنَّ كلمتي (الجنة وجهنم) افتتحتا بصوت واحد (الجيم) بالإضافة إلى أنَّهما اشتركتا في صوت (النون) الذي يخرج من طرف اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، تحت مخرج اللام، وهو مخرج النون المظهرة والمتحركة.

كما أن المفردتين (السرَّاء والضَّراء) مختومتان بالهمزة التي تخرج من أقصى الحلق : أبعد نقطة من بوابة الخروج (الشفتين) ولهذا ـ كلِّه ـ دوره في تحديد الاتجاهات السياقية التي تقود الفكر إلى التفسير والتأويل حيث يرتجى حقيقة التركيب اللغوي ، وحيث ترتسم في العقل نتائجه المبنية على ما في الألفاظ والتراكيب من عمق سبرت الدلالات

أغواره فتدلَّى إلى السَّطح.

وبما أنَّنا في رحاب حرف السين ؛ فإنَّنا نتساءل ببراءة عن سر تكثيف حرف السين في سيرورة التراكيب اللغوية لآيِّ القرآن وبخاصة في بعض السور كسورة يوسف ـ مثلاً ـ الأمر الذي يجعلنا نلح في التساؤل : ما دلالة هذا الحضور المتوالي للحرف؟ يقودنا هذا لأن نمعن الرؤية فنركز الانتباه على الحضور المكثف لصوت (السين) في واحدة من سور القرآن بدءًا من اسمها (سورة يوسف) . ولنقف عند بعض آياتها التي كان لحرف السين حضور صوتي قوي فيها ، يتوافق مع السياقين : الأفقي والرأسي لسرد الأحداث وتواليها تراتبيًّا ، ويتزامن مع الدلالات المادية والمعنوية التي تؤثر في نفس القارئ تأسيسًا على تأثير الخطاب القرآني في الحالة الشعورية للنفس البشرية التي يمكن أن تكون هي مدخلنا في الوصول إلى معرفة الحكمة الإلهية من سرد هذه القصة التي هيأ الله رسوله ـ المنزلة عليه وحيًا ـ لاستقبالها بأن قال في بدايتها ـ وهو وصف عموم أريد به الخصوص ـ ﴿الر تلكَ آياتُ الكتاب المُبين﴿١﴾ إنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبيًّا لَعَلَّكُم تَعقلونَ ﴿٢﴾ نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِه لَمِنَ الغافلينَ﴿٣﴾ ٣٣ ؛ فذكر أنه يقص على نبيه ثم علينا هذه القصة التي هي من أحسن القصص دون أن يجعلنا نَظُنُّ ـ خطأً ـ أنَّ قَصَصَ القرآن متفاوت في الدرجة القيمية ، ومنقسم بين قصٍّ حسن وآخر أحسن منه ؛ فما هو إلا إحكام القول من رب العالمين ، ثم نقف على الإمكانات البلاغية والدلالية في اللغة العربية التي لفت الله إليها بتأكيده ـ عبر تكرار القول في القرآن الكريم ﴿إِنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبيًّا لَعَلَّكُم تَعقلونَ﴾ ؛ ففي قوله تعالى دلالتان: الأولى ـ أنَّه نزل باللغة العربية ، والثانية بربط رجائه والإعلام بحلمه ورحمته ـ وهو العلي الغني العظيم ـ لعبادته بواسطة الأداة اللغوية (لعلَّ) بأن يعقل القول ويستوعب الغرض من القصِّ بقدراته اللغوية ، وفهمه لمعاني الألفاظ وقيم الأصوات في اللغة العربية التي ستكون السبب في استنباط العظات والأحكام من سرد ربِّ العزة لقصة جرت أحداثها قبل قرون على آخر رسله في آخر كتبه.

ومن ضمن ذلك سيرورة حرف السين في السورة ليؤدي مهامًا دلالية وأخر نفسية . وهذا ما يجعلنا نعمد لعرض عينة من الألفاظ والتراكيب التي لحرف السين أثر في تكوينها والايحاء بمعانيها ، الأمر الذي يحتاج إلى بينة تثبت ما سارت إليه رؤيتنا في هذا الشأن السيني البيِّن ببعض الشواهد من آيات سورة يوسف في محاولة لبيان حقيقة الصلة بين الدراسة القرآنية والقدرات التَّعبيرية والإيقاعية التي تتسم بها اللغة العربية والتي تجعل لبعد العمق حيوية الإثبات والديمومة لكلِّ مريد لجماليات اللُّغة العربية ، الرائي لها في صورتها الكليَّة .

يقول الله تعالى ﴿وَجاءوا عَلى قَميصِه بِدَمٍ كَذِب قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَميلٌ وَاللّهُ المُستَعانُ عَلى ما تَصِفونَ ﴿١٨﴾ ثم يقول: ﴿وَجاءَت سَيّارَةٌ فَأَرسَلوا وارِدَهُم فَأَدلى دَلوَهُ قالَ يا بُشرى هذا غُلامٌ وَأَسَرّوهُ بِضاعَةً وَاللّهُ عَليمٌ بِما يَعمَلونَ ﴿١٩﴾ ٣٤ . وبنظرة حصرية أولية لحرف السين في هاتين الآيتين ، نجد أنَّه ورد في مفردات (سوَّلت ـ أَنفُسُكُم ـ المُستَعانُ ـ سَيّارَةٌ ـ فَأَرسَلوا ـ دون أن نغفل التكرار الشكلي والمضموني للحرف بورود حرفي (ش ـ ص) المجاورين له في التسلسل الهجائي المقاربين له في الصوت والمخرج ؛ سندرك الحضور الواضح لهذا الحرف بالمقارنة مع العدد الكلي للكلمات في الآيات موضع الاستشهاد ، وهو ما يشير إلى استيفاء الدلالات والمعاني من الأثر النفسي للصوت بما يحدثه من إملاءات شعورية تقود إلى حيث الفهم الصحيح للمراد بيانه.

إن هذا التكثيف الصوتي الذي يدركه ـ بشكل أوعى وأوفى ـ العالم بالقواعد النحوية والصرفية والصوتية للغة العربية ، وبقيم النبر والتنغيم فيها ؛ ليستحضر الرغبة في الاندماج في القصة والتناغم مع أحداثها ليجد نفسه وقد استوعب العبر والعظات التي تتواتر في آيات سورة يوسف كلِّها ـ كما هو القرآن كلُّه ـ بدءًا من الحروف الأولى (الر) مفتتح السورة . ومن دلالات التكثيف الصوتي الموجه للدلالة والمعنى ، التتابع الحرفي كمثل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ من نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ

وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿ ١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ ١٥﴾ ٣٥. وقوله تعالى في سورة الجن ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴿ ١٠﴾ ٣٦، فلنسمع المكتوب قبل أن ننظر إليه وستدرك النفس ـ بطبيعتها التي جبلت عليها من حب للنغم ـ ذلك التناغم الناعم المنبعث من الكلمات المتهادي سحرًا وبيانًا من تجانس الأصوات في الكلمات الواردة في الآيات ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ـ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ـ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ـ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ﴿

ـ العمق الدلالي في النَّص الشِّعري ـ الدلالة النَّحوية :

ما أبلغ ، وما أكفأ لبحثنا أن يستوقفنا ـ في بدء هذا المبحث (البعد الدلالي) من قيم اتسعت لها اللُّغة العربية ؛ فأخرجت ما فيها من معان وغايات صاغها رب العالمين بما أنزل في القرآن من عميق بيان ، لنتخذه شاهدًا ودليلاً أوليًا على أنَّ للغة العربية عمقًا يحتاج إلى بحث في مكنوناته ليطَّلع الآخرون عليها في حلَّة من الدقة الثلاثية الأبعاد. ومن ثم ننطلق إلى ساحات الشعر نستجلب مما فيه من جمال يشهد أنَّ : للعرب في لغتهم شؤون. وشؤون اللغة العربيَّة المترامية القيم تفصح عنها موازين الأبعاد الثلاثة إذا ما تلاقت في كفَّة واحدة لترجح بها في حكم المتكلِّم والسَّامع عمَّن سواها. ويقترن هذا الرجحان بمبدأ الفهم الكامن في وضعية التعاطي مع المحيط وكيفيتها استنادًا على المخزون المعرفي سواء الفردي أم الجمعي وبخاصة فيما له صلة بحالة الشعر ؛ لأن « لا شيء في لغة الشعر يمكن أن يفهم فهما حسنا بمعزل عن تمحيص كلمات اللغة الأساسية التي نتداولها جميعا خارج ميدان الشعر»٣٧. وميدان الشعر هو أحد النوافذ المطلة على العمق اللغوي ، لذا اتُّخذَ شاهدًا أساسًا على من استخدمها فنيًّا : شعرًا ونثرًا من حيث القوة أو الضعف ـ الصواب أو الخطأ ـ البلاغة أم السطحية في اللفظ والمعنى .

وإذا كانت انطلاقة علم النحو بوازع من الفقه ؛ فإنَّ الفقه لم ينفك يحتاج النحو كون الأخير يملك مفاتح كثير من الأحكام التي يتغير البتُّ فيها بتغير واقعها اللُّغوي ، وموقعها الإعرابي ، حيث إنَّها محكومة بالسياق الذي وردت فيه ـ والتركيب الذي صيغت عليه ، وشاهد ذلك ما ذكره الزجاجي « أن هارون الرشيد أرسل إلي القاضي أبي يوسف يسأله عن قول القائل :

فَإنْ تَرْفِقِي يَا هِنْدُ فَالرِّفْقُ أَيْمَنُ
وإنْ تَخْرِقِي يَا هِنْدُ فَالخَرْقُ أَشْأَمُ
فَأَنْتِ طَلاقٌ والطَّـلاقُ عَزِيْمَةٌ
ثَـلاثٌ وَمَنْ يَخْرِقْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ ؛

فقال ما يلزمه لو رفع الثلاث أو نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت هذه مسألة نحوية ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته فقال : إن رفع ثلاثًا طُلِّقت طلقةً واحدة ؛ لأنه قال : أنت طالق ، ثم أخبر أن الطلاق أقسام ثلاثة ، وإن نصبها طُلِّقت ثلاثًا ؛ لأن معناه أنت طالق ثلاثًا ، وما بينهما جملة معترضة»٣٨. وفي موقف آخر جمع بين الرجلين : الفقيه واللغوي كان للغة حظٌّ في المجلس ثم في نوع الحكم (الفتوى) التي ترتكز عليها بنية المكون المجتمعي المسلم (الأسرة) المؤسَّسة على عقد وميثاق. وهذا الخبر ينبئنا حقيقة أنَّ اللُّغة العربية بقوة قواعدها النحوية والصرفية ذات صلة قوية قويمة بالتشريع في الدولة الإسلامية ، ولتأكيد هذا نذكر شاهدًا آخر ليس من جنس الشعر لكنه ذو علاقة بالتشريع على أساس لغوي نحوي ؛ فقد « دخل أبو يوسف الفقيه على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك. فقال الرشيد: النحو يستفرغني، أستدل به على القرآن والشعر. فقال الكسائي: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بجوابي في مسالةٍ من الفقه. فضحك الرشيد فقال: أبلغت إلى

هذا يا كسائي، يا أبا يوسف أجبه. فقال: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالقٌ إن دخلت الدار؟ فقال: فقال أبو يوسف: إن دخلت فقد طلقت. فقال الكسائي: خطأ، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع بعد»٣٩.

هذان الموقفان الفقهيان اللغويان يؤكدان ما لدال اللفظ العربي وحركته من وقع على مدلول المعنى الذي لا يتيسر كشفه إلا لمَن أمسك بناصية اللُّغة العربية وقواعدها النَّحوية التي تستنطق المعاني الصامتة خلف البنى اللُّغوية في التراكيب أيًّا كان نوعها الأمر الذي يؤكِّد « أن المعاني السائلة لا يستطيع أن يكشفها الإنسان دون أن يكون على ذكر بالمعاني الصلبة . وكثير من اللغة الفياضة أو السائلة قد ينطوي على اتيان البيوت من غير أبوابها. كثير من اللغة السائلة قد يكون دفاعا لا شعوريا عن نزوة الترفع الغريب على العلم» ٤٠. وبذلك يمكن الاطمئنان إلى سلامة تفسير الأحكام التي يحتاجها العربي وغير العربي ممن مَنَّ الله عليهم بالإسلام ، على طول وعرض الامتداد الجغرافي الكوني كلِّه ، وهو ما يثبت اتساع آفاق اللغة العربية وتواتر دورها زمانيًا ومكانيًّا.

وإذا كانت القاعدة اللغوية في اللغة العربية تولي اهتمامًا بالتعداد الصوتي للمفردة الواحدة كالفعل مثلا الذي قد رؤي وقف عدد الحروف المركَّب منها : ثلاثة ، وقد احتجوا بذلك على إبطال إعمال (إنَّ ـ أنَّ) عندما يخففان (أنْ) كون حذف التضعيف ينقص من عدد حروفهما ، إذ التضعيف حرف ؛ إلا أنَّهم قد صوغوا الحذف وجعلوه دالاً إعرابيًّا حتى لو بقي الفعل حرفًا واحدًا ، وهذا من جماليات العربيَّة ومرونتها على الألسنة والأبصار. وقد جمع أحد سدنة اللغة العربية عشرة أفعال رضخت لهذه القاعدة فصاغها في قالب شعري مشوق للتأمل والتدبر :

ـ العمق الدلالي في النص الشعري : الدلالات الصرفية والصوتية (التعاقب)

في سبيلها الأول تسير اللغة العربية محافظة على صلتها بمن يوظفنها في شتَّى صنوف التعابير التي يتواصل بها الناس حسيًّا ومعنويًّا في بعض شأنهم ؛ أمَّا في الشأن الأعظم (لغة الحياة اليومية ، فقد توسع في السبيل بالإبدال والتعاقب بإحلال صوت محلَّ صوت آخر دون إخلال بالمعنى ، أو بأصالة أحدهما ، وهو ما رمى إليه ابن جني في مضمون قوله؛ « فمتى ما أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليين، كلٌّ واحد منهما قائم بنفسه، لم يسغ العدول عن الحكم بذلك. فإن دلّ دالّ، أو دعت ضرورة إلى إبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجب الدّلالة، وصيرَ إلى مقتضى الصنعة ، ومن ذلك: سكّر طَبَرزل، وطبرزن: هما متساويان في الاستعمال، فلستَ بأن تجعل أحدَهما أَصلا لصاحبه أولى منك بحمله على ضدّه، ومن ذلك قولهم: هتلت السماء، وهتنت: هما أصلان؛ ألا تراهما متساويين في التصرُّف؛ يقولون: هتنت السماء تَهتِن تَهتانا، وهتلت تهتِل تهتالا، وهي سحائب هُتن، وهُتلٌ»٤١.

ـ العمق الدلالي في النص الشعري : الدلالات البلاغية (المشاكلة)

البلاغة بيان وبديع ومعنى تفصل بين الكلام العام ، والكلام ذي الصبغة البيانية والإبداعية لذلك كانت دالاً على قوة التعبير ، وشدَّة التأثير ، وأبلغ البيان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ قول الرحمن ، ومن شواهد المشاكلة فيه قوله تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٢ ، ثم قولٌ نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أفصح الناطقين باللسان العربي وأبلغهم «... مَهْ عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا...»٤٣ معنى لا يمنع الثواب عنكم حتى تملوا عن طلبه ، فقد قابل المنع بمنع مثله لفظًا ، لكنه اسقط المعنى عنه بالإيحاء بضده الذي يثبته الاستعمال المتعدد لمفردة (حتى) ؛ لأن ليس من صفت الله الملل وكما في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أيضًا» ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدُهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا « ٤٤ ؛ فلفظة يصبح تستدعي الليل ؛ لأن لا إصباح بغير ليل يسبقه ، كما أنَّ الفعل (يصبح) جاء بصيغة المضارع (الحاضر) الذي استحضر الماضي وهما الضدان المتفقان في تشكيل المعنى ورسم معالمه التي سريعًا ما تتضح بالمقابلة بين : منفقًا ـ ممسكًا ، و خلفًا ـ تلفًا . ومن بعدهما أقوال الشعراء والأدباء كافة ، نذكر من شواهد أشعارهم قول عمرو

عشرة أفعال في اللغة العربية الأمر منها حرف واحد (ابن مالك)

إنّـي أقـولُ لـمـنْ تُـرجـى مـودّتُـهُ * قِ المستجير قياهُ قُوهُ قِي قِين
وإنْ صرفتَ لـوَالٍ شُغْلَ آخرَ قُـلْ * لِ شُغْلَ هـذا لِياهُ لُوهُ لِـي لِيـنَ
وإنْ وشَى ثوبَ غيري قلتُ في ضجرٍ * شِ الثوبَ وَيْكَ شِياهُ شُوهُ شِي شِينَ
وقُـلْ لقاتِلِ إنسانٍ علـى خطـأ * دِ مَـنْ قتَلْتَ دِيـاهُ دُوهُ دِي دِيـنَ
وإنْ هـمُ لـمْ يَـرَوْا رأيـي أقُـولُ لهـمْ * رَ الـرأيَ وَيْـكَ رَيـاه رَوْه رَيْ رَيْـنَ
وإنْ هـمُ لـمْ يَعُـوا قولِي أقُـولُ لهـمْ * عِ القولَ مِنّي عِياهُ عُوهُ عِـي عِينَ
وإن أمَـرْتَ بِـوَأْيٍ للمُحِبِّ فقـلْ * إِ مَـنْ تُحِـبُّ إِيـاهُ أوهُ إِي إِيـنَ
وإنْ أردْتَ الونَى وَهْـوَ الفُتُورُ فقـلْ * نِ يـا خَلِيلِي نِياهُ نُـوهُ نِـي نِيـنَ
وإنْ أبَـى أن يَفِي بالعهدِ قلتُ لَـهُ * فِ يـا فـلانُ فِياهُ فُـوهُ فِـي فِيـنَ
وقُـلْ لساكِنِ قلْبِي إنْ سِوَاكَ بِـهِ * جِ القلبَ مِنّي جِياهُ جُوهُ جِي جِينَ

بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهليناه٤٤

فقد شاكل بين الجهل والجهل بأكثر منه كون الأول استدعى الثاني بحكم العلاقة بينهما ، تلك التي أجراها اللفظ لتأمين العلاقة بين حقول اللغة وما فيها من مجازات ، وما ينشأ في عمقها من أوضاع وتراكيب سواء أكانت في البيان أم في المعني ، أو فيما تجاذبته التجارب الاجتماعية والثقافية ، في البيئات المتماثلة والمتباينة ، وفي العصور المتلاحقة ،وما ينمو على ضفافها من الدلالات البلاغية كالمشاكلة المكانية التي يكون فيها الحال مقابلا للحالة؛ كما في قول الطائي:

كانت هي الوسطَ المحميَّ فاكتنفت

بها الحوادثُ حتى أصبحت طرفًا

إنَّه يصف دارًا كانت تتوسط الدور فكانت حالها حسنة ؛ لأن الحالة قابلت الوضع (محمية) ، لكنَّ الحال تغيرت من كرِّ صراعات الطبيعة وما عداها عليها حتى أزالت أطرافًا كانت محيطة بها فتغير موقعها في المكان ؛ إذ قابل الطرف بطرف مثله قد كان يومًا وسطًا. ونقف من هذا على مفهوم شعوري يقف بنا على الخاصية الدلالية البلاغية التي كانت وراء « استعمال الوسط ودلالته على الحصانة ، والبعد عن عوامل الفساد والانتقاص»٤٦. وعندما ننظر فيما يستدعيه اللفظ الواحد من دلالات ايحائية ؛ فإنَّنا سنجد ضروبًا عدة من المعاني ذات الصلة ، حيث إنَّ لفظة (الوسط) في هذا البيت ـ مثلا ـ حمَّلة شحنة دلالية على الزمان والمكان والاسم والصفة ومن ثم الفعل (توسَّط) ومن بعده الظرفية ، كما يستحضر الحكم والأمثال (خير الأمور الوسط) ، والقيمة (واسطة العقد) ... وكذلك شأن لفظة (المحمي) التي

تستحضر الحمايتين : المادية والمعنوية في آن واحد مع تعدد أشكالهما وأدواتهما. وعجب في هذا ؛ فديدن العربية «حشد المعاني التعبيرية المختلفة في صورة إيقاعية واحدة . فالمشتق الواحد يجمع في طيَّاته دلالات متعددة تنصبُّ دفعة واحدة حين أدائه»٤٧.

العمق الدلالي في النص الشعري : الدلالات البلاغية (القصر)

والقصر أسلوب بلاغي دال على تخصيص الكلام لذات بعينها أم شأن لعينه ، وتنوب فيه الألفاظ عن بعضها في أداء المعنى والقصد معًا إثباتًا ونفيًا ، ومنه في اللغة العربية الكثير سواء في القرآن الكريم (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) أم في الشعر والنثر اللذين أبدع فيهما العربي فخلَّف موروثًا أدبيًّا عظيمًا . ومن شواهد الشعر قول أبي تمام:

بَصُرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها

تُنال إلا على جسر من التعبِ٤٨

فقد قصر الشاعر الفوز بطعم الراحة إلا إذا كان نتيجة لكد وصبر على التَّعب إذ لا يمكن لأيٍّ كان أن ينال الراحة من غير هذه السبيل ؛ فعبَّر بالقصر بالجمع بين متضادين (الرَّاحة والتعب) ، والراحة دال مدلوله السعادة ، والتعب دال مدلوله العمل. فأثبت بهاتين الدلالتين للتعب جدواه في حصول السعادة ، ونفى عن غير العمل الصلة بأسباب الراحة.

ومن شواهد القصر أيضًا هذا البيت لأبي العلاء المعري :

والنَّحلُ يجني المُرَّ من نور الرُّبا

فيصير شَهدًا في طريق رُضَابه ٤٩

لقد قصر جني المرِّ على النحل ، وقصر المرَّ (الرحيق) على الزهر (نور الربا) ثم قصر التحويل من المادة الخام المرة إلى شهد يحلو في الريق على هذه الحشرة العجيبة ؛ فأثبت لها كلَّ هذا ونفى عن سواها فعل مثل هذا.

إنَّ هذا الإشباع الدلالي التي تقدمه اللغة العربية لكلِّ متصل بها ، متواصل بآلياتها التي لا تفتر ، والتي تتسع للمجالات كافة ، وتقبل الجديد الذي يحتاجه النَّاطق ؛ لهو دالٌّ فاعلٌ على مرونتها وفاءً لأبنائها وكلِّ المتكلمين ، ولإثباتًا لجدارتها ، حيث إنَّ « من صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو ، وإذا علمنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قبلنا أنها متطورة متجددة»٥٠. وما نجري على ألسنتنا من استخدامات لكثير من المفردات لم تكن في الأصل من لغتنا ؛ مثل : استبرق ـ الإمبريالية ـ الديمقراطية ـ إرهاص ـ بالتالي ـ علمانية ... إلخ ؛ لهي من شواهد سعة العربية ، وتقبلها لكلِّ ما يُحتَاج إليه في لغة الحياة اليومية : سياسية كانت أم علمية ، أو ثقافية ، أو اقتصادية ، أو رياضية ، أو إعلامية.

وكما قال الشاعر:

يبقى المرء ما استحيى بخير

ويبقى العود ما بقي اللِّحاءُ

لقد قصر ـ بقصد رسم صورة بيانية جمالية ـ بقاء الإنسان ـ بقاء معنويًّا ـ ببقاء حيائه ، في مقابل قصر بقاء العود ـ كناية عن الشجرة ـ على بقاء اللِّحاء ، وهو القشرة التي تغطي الساق وتغذيه . وكان القصر الأكبر بالمشاكلة البيانية البينة تلك التي كانت بين الحياء واللحاء ، بين الإنسان والنبات ؛ فكلاهما كان رمزًا للحياة : حياة البشر والشجر ، فكفى هذا القصر عن كثير من القول الذي كان سيقود إلى المعنى نفسه لكنه فاقد للجمال التعبيري الذي أسداه القصر (شعبة من شُعب اللغة) . وهذه ميزة للغة العربية التي لا تستشف إلا من النظر في البعد الدلالي الموافق لزاوية العمق ـ

الضلع الثالث ـ في الأبعاد الثلاثة.

خاتمة

لا ريب في أن الله ـ خالق كلِّ شيء ، ومدبِّر كل أمر ؛ لم يكن بمعجزه أن ينزِّل كتابه السماوي الخاتم على نبيه الخاتم : محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغة لم يعلمها ، ولم يتكلم بها إنس من قبل ولا جان ، لكن لحكمة ربانية أنزله بلسان عربي مبين ، لعلمه ـ الذي هو فوق كلِّ علم ـ بقدر اللغة العربية وسعة آفاقها ، وعلو شأنها بين لغات الأمم الأخرى ؛ فحمَّلها أمانة الدين الحنيف (الإسلام) ، فجاء القرآن عربي اللسان ، والمُنَزَّل عليه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عربيًا ، وهو ما رسَّخ قيمتها ، وحسَّن سيرتها ؛ فزادت طاقتها ، وعمَّ نفعها للإنسانية قاطبة ، حتى صارت هوية أهلها ، والمنتمين إليها بملة الإسلام الذين أصبح احتياجهم إليها ضرورة الضرورات ، لقراءة من تضمنه كتاب الله الكريم من الآيات ، وما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأحاديث والعظات ، وما كتب حولهما : القرآن والسنة من دراسات .

هذه المكانة السامية ، والقدر العظيم ، واللازمة المؤكدة الحتمية للإلمام بها ؛ أمور كلُّها استوجب السعي الحثيث لمعرفتها حق المعرفة ، والتبحر في علومها ، ومن ثم الحفاظ عليها ، وهو ما تكفله الدراسات القرآنية التي تكتب بالعربية للخصوصية الحرفية لكلام الله (القرآن) ، دون نفي لإمكانية كتابة الدراسات القرآنية باللغات الأخرى لتسهيل ترجمة معاني القرآن وفهم تأويله. من هنا ندرك أن للدراسات القرآنية دور بليغ في المحافظة على اللغة العربية هوية مجتمعية يتسع محيطها باتساع رقعة الناطقين بها من أهلها ، وممن تعلموها فأتقنوها ، وهو ما يجعلنا نسهب في القول ، ونمعن في البحث في كَمِّ الصلات بين الدراسات القرآنية واللغة العربية ، ومدى حفظ الأولى للثانية ، وخدمة الثانية للأولى. وقد وضح لنا بجلاء أنَّ اللغة العربية كاملة شاملة تغني مريدها بكل ما يطلب ، ومن أي زاوية يحب أن ينظر إليها فيراها منها: الطول ـ العرض ـ العمق ، وفي أي مضمار يجدها سواء في القرآن وما حمل من عظيم لفظ وبديع بيان ، أم في كلام أولي النهى والملكات الإبداعية شعرا ونثرا وفصاحة . وقد ثبت لها المقام من أول الزمان ، وسيدوم حتى آخره ، وفي المكان الذي تعدد على الأرض بل وتجاوزها حتى السماء. وقد ترتب على هذا الثبت نتائج عدة نذكر منها:

ـ لا مجال لذي عقل أن ينكر للغة العربية قدرها وصلاحيتها مهما درج الزمان وتغيَّر المكان.

ـ الألفاظ العربية ذات تداخل بنائي يعمِّق أثر السياق الصوتي الأمر الذي يسهم في توجيه الدلالات والمعاني.

ـ التفقه في الدين والإقبال على الدراسات القرآنية يبرز ما للغة العربية من سعة ، ولما فيها من الحاجة إليها.

ـ المعجم القرآني سبيل فاعل في الوقوف على المدِّ اللغوي.

ـ الصور والتعابير البيانية استحضار لكثافة دلالات اللغة العربية واستعراض لبلاغتها.

الدراسات القرآنية والهوية اللغوية : التكافل والتفاعل

ـ كثيرة هي شواهد القيمة النفعية للغة العربية ، ودرجات الأثر والتأثير المتبادلين بينها وبين الثقافات الأخرى

ـ اللغة العربية ذات صلة رحم بالعلوم كافة .

ـ اللغة العربية ليست لسانًا جامدًا إذ أن معجمها قابل لاستيعاب كلِّ لفظة جديدة مفيدة. كونها نامية متطورة.

ـ إذا تعذر حفظ قواعد اللغة العربية ؛ فإن حفظ هويتها وديمومة توظيفها والحاجة إلى معانيها محفوظة أبدا.

الهوامش

١ – القماطر : خزانة الكتب.

٢ – أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد بم إسماعيل): فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ، خالد فهمي ـ د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ / ١٩٩٨م ، ج١ ، ص ٤/٣.

٣ – – شبكة المعلومات الدولية : موقع شبكة فلسطين للحوار: (مقالة علمية).
https://www.paldf.net=forum/showthread.php?t١١١٧٦٧٠
٤ – د. فتح الله سليمان : دراسات في علم اللغة ، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة ـ القاهرة ـ ط١ / ٢٠٠٨م، ص ١٢٥.
٥ – محمد المبارك: فقه اللغة «دراسة تحليلية مقرنة للكلمة العربية» ، مطبعة جامعة دمشق ، د.ط/د ت، ص ٥٣/٥٤.
٦ – نفسه ، ص ٦٣.
٧ – محمد الأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ، مكتبة دار الشرق ـ بيروت ـ لبنان ط٢/ د.ت ، ص ٣٩٣.
٨ – سورة الروم ، الآية ٢٢.
٩ – د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط٣/١٩٩٧م ، ص ٦٠.
١٠ – نفسه ، ٦٢.
١١ – الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر): بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، د.ط / ١٩٩٤م ، ج١٠ ، ص ٢٥.
١٢ – سورة النحل ، الآية ١٠٣.
١٣ – د. محمود حمدي زقزوق : الموسوعة القرآنية المتخصصة : إشراف وتقديم. وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ القاهرة ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م ، ص ١٣١.
١٤ – د. جواد علي : المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ـ بيروت ـ ط٤/٢٠٠١م ، ج١ ، ص١٢.
١٥ – د. عبد السلام المسدِّي:التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ ط١/١٩٨٦م، ص٩٤.
١٦ – ابن جني (أبو الفتح ، عثمان) : الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة د.ط / د.ت ، ج١ ، ص ٤١.
١٧ – د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ):لغتنا والحياة ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٢ / د.ت ، ص ١٢٤.
١٨ – القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن ، ضبط وتعليق : د. محمد إبراهيم الحفناوي، د. محمود حامد عثمان . دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط١/١٩٩٤م ، ج١ ، ص ٢٩٧.
١٩ – الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله أبو عبد الله) المستدرك على الصحيحين ، ت : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط ١ / ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠م . جـ ٤ ، ص ٩٧..
٢٠ – القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١ / ص ٢٩٧.
٢١ – شبكة الإعلام العربية (شبكة المعلومات الدولية) http://moheet.com عبد المنعم الغروي»لقاء منشور)
٢٢ – مشتاق عباس معن : المعجم المفصَّل في فقه اللغة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، ط.١ / ٢٠٠١م ، ص ٤٢.
٢٣ – نفسه ، ص ١٧٣.
٢٤ – د. عبد الحميد السلقاني : مصادر اللغة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ـ طرابلس ـ ليبيا ، ط٢/ ١٩٨٢م،ص ٣٦٨
٢٥ – نفسه ، ص ٧١/٧٢.
٢٦ – د. علي القاسمي : إشكالية الدلالة في المعجمية العربية (بحث منشور) ، مجلة اللسان العربي ،مطبعة النجاح الجديدة الرباط ـ المغرب ، د.ط / د.ت ، م٤٦ ، ص ٦٠.
٢٧ – المعجم المفصل في فقه اللغة : مشتاق عباس معن ، ص ١٩١.
٢٨ – ابن منظور:لسان العرب ، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ط.٦ (جديدة منقحة) ٢٠٠م ،مج١٤ ،ص ٣٩٠.
٢٩– نفسه . مج٧ ، ص ٢٣.

٣٠ – د. نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي) . علم المعرفة « سلسلة شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ع ٢٦٥/ يناير ٢٠٠١م ، ص ٢٧٧.

٣١ – روي هاريس وتولبت جي تيلر : أعلام الفكر اللغوي ، ت: د. أحمد شاكر الكلابي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ ط١ / ٢٠٠٤م ، ص ٢٤١.

٣٢ – سورة آل عمران ، الآية ١٣٤.

٣٣- سورة يوسف الآيات ٣/٢/١

٣٤- سورة يوسف الآيتان ١٩/١٨

٣٥- سورة الحديد ، الآيات ١٥/١٤/١٣

٣٦ – سورة الجن ، الآية ١٠.

٣٧ – د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل (عام المعرفة) : سلسلة ثقافية شهرية» المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ عدد ١٩٣ ـ يناير / ١٩٩٥م ، ص٤٨.

٣٨ – الزجاجي(أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق) : مجالس العلماء ، تح : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي – القاهرة ـ دار الرفاعي بالرياض ، ط٢/١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م ، ص ٢٥٩ ومابعدها.

٣٩ – نفسه ، ص ١٩٦.

٤٠ – د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل ، ص٣٥.

٤١ – ابن جني : الخصائص ابن جني الخصائص ج٢ / ٨٢.

٤٢ – سورة الشورى ، الآية ٤٠.

٤٣ – البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)عناية:أحمد جاد ،دار الغد الجديد ـ المنصورة ـ مصر ـ د.ط/د.ت ، ص١٨.

٤٤ – نفسه ، ص ٢٦٧.

٤٥ يُنظر : الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر ، تح : د. أحمد أحمد شتيوي ، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ، ط١ / ٢٠٠٧م ، ص ١١٥.

٤٦- الزمخشري (أبو القاسم جار الله حمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شرحه وضبطه : يوسف الحَمَّادي ، مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ، د.ط / د.ت ، ج١ / ص ١٨٣.

٤٧– د.فخر الدين قباوة:الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد.الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط١/٢٠٠١م ص٩٢

٤٨– د. مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٤/١٩٧٩م، ص٦٧٣

٤٩- شروح سِقط الزِّند : تح: مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ دار الكتب ، ط٣ / ١٩٤٥م ، ج/٢ ص ٧٢٠.

٥٠– د. إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ / ١٩٧٨م ، ص ٢٨٥.

المصادر والمراجع

- **أولاً : القرآن الكريم**
- **ثانيًا : كتب الحديث الشريف وتفسير الكتاب الحكيم:**

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)عناية: أحمد جاد ،دار الغد الجديد ـ المنصورة ـ مصر ـ د.ط/د.ت.
- المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، ت : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط ١ / ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠م
- الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي): بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق: عبد الله

محمد الدرويش ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، د.ط / ١٩٩٤م.
- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن ، ضبط وتعليق : د. محمد إبراهيم الحفناوي ، د. محمود حامد عثمان . دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط١/١٩٩٤م
- الزمخشري (أبو القاسم جار الله حمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شرحه وضبطه : يوسف الحَمَّادي ، مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ، د.ط / د.ت.

- **ثالثًا : كتب اللغة والفكر والتاريخ:**
- إبراهيم السامرائي (دكتور) : فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ / ١٩٧٨م
- ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ط.٦ (جديدة منقحة) ٢٠٠م
- أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد بم إسماعيل): فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ، خالد فهمي ـ د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ / ١٩٩٨م
- ابن جني (أبو الفتح ، عثمان) : الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة. د.ط /د.ت.
- جواد علي (دكتور) : المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ـ بيروت ـ لبنان ، ط٤/٢٠١١م.
- روي هاريس وتولبت جي تيلر : أعلام الفكر اللغوي ، ت: د. أحمد شاكر الكلابي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ ط١ / ٢٠٠٤م .
- الزجاجي(أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق) : مجالس العلماء ، تح : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي – القاهرة ـ دار الرفاعي بالرياض ، ط٢/١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م
- عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطئ ـ (دكتور):لغتنا والحياة ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٢ / د.ت.
- عبد الحميد السلقاني (دكتور) : مصادر اللغة : ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ـ طرابلس ـ ليبيا ، ط٢/ ١٩٨٢م.
- عبد السلام المسدِّي (دكتور):التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ ط١/١٩٨٦م.
- علي القاسمي (دكتور): إشكالية الدلالة في المعجمية العربية (بحث منشور) ، مجلة اللسان العربي ،مطبعة النجاح الجديدة ـ الرباط ـ المغرب ، د.ط / د.ت.
- فتح الله سليمان (دكتور): دراسات في علم اللغة ، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة ـ القاهرة ـ ط١ / ٢٠٠٨م.
- فخر الدين قباوة (دكتور) :الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد.الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط١/٢٠٠١م
- كمال بشر (دكتور): علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط٣/١٩٩٧م.
- محمد الأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ، مكتبة دار الشرق ـ بيروت ـ لبنان ط٢/ د.
- محمد المبارك: فقه اللغة «دراسة تحليلية مقرنة للكلمة العربية» ، مطبعة جامعة دمشق ، د.ط /د ت.
- محمود حمدي زقزوق (دكتور) : الموسوعة القرآنية المتخصصة : إشراف وتقديم. وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ القاهرة ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م.
- مشتاق عباس معن : المعجم المفصَّل في فقه اللغة : ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، ط.١ / ٢٠٠١م.
- مصطفى السقا وآخرون :شروح سِقط الزِّند : تح: ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ دار الكتب ، ط٣/١٩٤٥م.
- مصطفى الشكعة (دكتور): الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٤/١٩٧٩م.

- **رابعًا المجلات:**

- مصطفى ناصف (دكتور): اللغة والتفسير والتواصل (عام المعرفة) : سلسلة ثقافية شهرية» المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ عدد ١٩٣ ـ يناير / ١٩٩٥م ، ص ٤٨.
- نبيل علي (دكتور): الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي) . علم المعرفة « سلسلة شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ع ٢٦٥/ يناير ٢٠٠١م
- **خامسًا : الفضاء الإلكتروني:**
- شبكة المعلومات الدولية : موقع شبكة فلسطين للحوار: (مقالة علمية).

١١١٧٦٧٠https://www.paldf.net=forum/showthread.php?t

- شبكة المعلومات الدولية:موقع شبكة الإعلام العربية http://moheet.comعبدالمنعم الغروي(لقاء منشور)
- الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر ، تح : د. أحمد أحمد شتيوي ، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر، ط١ / ٢٠٠٧م.